مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــ المجلد : 10 / العـدد: 01 (جانفي 2022) ص 810– 822
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

الذات والانفتاح على الآخر في فلسفة بول ريكور

Oneself and openness to the other in Paul Ricœur's philosophy

الطالب: معمر بوعزة [1]، الأستاذ الدكتور: سواريت بن عمر [2]
Maamar BOUAZZA [1], Pr : Benamar Souarit [2]
1 جامعة وهران 2 محمد بن أحمد (الجزائر)، bouazza624687@gmail.com
2 جامعة وهران 2 محمد بن أحمد (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2021/08/01	تاريخ القبول: 2021/11/28	تاريخ النشر: 2022/01/25

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى توضيح أن الذات عند الفيلسوف الفرنسي بول ريكور paul Ricœur (1913–2005) هي ذات فاعلة تتأسس على مجموعة من العلاقات المتشابكة التي تضمن لها البقاء والاستمرارية ومن بين هذه العلاقات علاقتها بالآخر، وهذا الأخير يعتبر أحد الركائز الأساسية التي بنى عليها ريكور مشروعه التأويلي، والذي حاول من خلاله إعادة ترميم الذات وتحريرها من الانغلاق على نفسها، فالذات عنده تتعايش مع الآخر، ولها القدرة على الانفتاح. ومن أجل فهم هذه العلاقة التي بين الذات والآخر، قدم بول ريكور مشروعا فلسفيا من خلال منهجه التأويلي، والذي اعتبر فيه أن المقصد الأساسي للمنهج التأويلي هو " فهم الذات عبر توسط الآخر" وذلك لأن الذات لا يمكنها أن تعيش التباعد والانغلاق .

الكلمات المفتاحية: الذات، الآخر، التأويل، الانفتاح، التعايش .

Abstract :

This research paper aims to clarify the self, which, according to Paul Ricœur (1913-2005), is an actor based on a set of overlapping relationships that ensure its survival and continuity, one of which is its relationship with the other. The latter is regarded as one of the main pillars on which Ricœur established his interpretive project. Through the project, he attempted to restore the self and free it from closing in on itself. According to him, the self coexists with the other and is capable of being open. In order to understand this relationship between oneself and the other, Paul Ricœur presented a philosophical project through his interpretive approach, considering that the interpretive purpose of the project is to "understand oneself through the mediation of the other".

Keywords: self, other, interpretation, openness, coexistence.

المؤلف المرسل: معمر بوعزة ،**الإيميل**: bouazza624687@gmail.com

1.مقدمة:

مما لاشك فيه، أن علاقة الذات بالآخر في الفكر الفلسفي، أصبحت تشكل محورا أساسيا، حيث تقتضي هذه العلاقة انفتاح الذات على مستويات الفهم والتواصل مع الآخر، باعتبار أن الذات لا يمكن أن تحافظ على استمراريتها وبقائها إلا من خلال التزامها تجاه الآخر الذي يمثل صورتها الحقيقية، ومن بين الفلاسفة الذين حاولوا طرح إشكالية علاقة الذات بالآخر في مشروعهم الفلسفي نجد الفيلسوف الفرنسي بول ريكور poul Ricœur (1913–2005)، والذي سعى إلى بناء فلسفة جديدة تقوم على تعديل فلسفة الذات باعتبار " الذات عينها كآخر" كبديل لها، حيث يشير في أحد مؤلفاته إلى أن العامل الأساسي الذي أوصله إلى طرح هذه الإشكالية من جديد هم فلاسفة الارتياب سيغموند فرويد Sigmund Freud (1856–1939) – فريدريك نتشه Frédéric Nietzsche (1844–1900) – كارل ماركس Karl Marx (1818-1883) من خلال نقدهم لفلسفة الذات .

ولقد تناول بول ريكور إشكالية علاقة الذات بالآخر في كتابه " الذات عينها كآخر "، والذي قدم فيه موقفه الفلسفي من أجل الوصول إلى خلاصة عامة تكون بمثابة الإجابة عن هذه الإشكالية. ومن هنا نطرح التساؤلات الآتية : **كيف تحددت علاقة الذات بالآخر حسب بول ريكور ؟ وبعبارة أخرى هل وعي الذات يتحقق من خلال الآخر ؟**

وللإجابة على هذه التساؤلات، فقد اعتمدنا المنهج التحليلي وفق مقاربة تهدف إلى عرض أفكار الفيلسوف ريكور حول ثنائية الذات والآخر.

ولقد كان الهدف من هذا البحث، هو الوقوف على النتائج التي يمكن أن نستخلصها من الدرس الريكوري بعد فهم علاقة الذات بالآخر عنده من جهة، ومعرفة مدى حضور النزعة النقدية في الفكر الفلسفي عامة، والفكر الغربي خاصة من جهة أخرى .

2.الذات عند فلاسفة الارتياب

1.2 فريدريك نتشه:

لقد حاول فريدريك نتشه من خلال منهج التأويل البحث عن أصل الأشياء وقيمتها في الواقع من أجل توضيحها والكشف عنها وعن شروط وجودها، لكن هذا الكشف يكون بإتباع الطريقة الجينالوجية، والتي تعني البحث عن نشأة الظواهر الإنسانية من خلال ظهورها ومعرفة أصلها بدلا من إضافة بنى أخرى، وعليه فإن المنهجية المتبعة هي بمثابة تحقيق الأحكام التي تبين مصدر الأشياء من حيث قيمتها وأصلها؛ لأن " مهمة الفيلسوف خلق أهداف وقيم " (فريدريك نتشه، 2003، صفحة 172).

إن منهجية نتشه ليست منهجية هدم، وإنما هي القدرة على البناء والتجاوز، وبهذا فإن مسعى نتشه هو تحطيم البنى الفكرية، وفضح تاريخ الاستعارات الميتة، وذلك من خلال تقويض الإرادات التي أصبحت تمتلك زمام عملية التأويل، ومن هنا حاول نتشه تقويض السؤال الذي حاولت فلسفة الذات أو الكوجيتو الديكارتي الإجابة عنه ومن أجل فهم الهجوم الذي جاء به نتشه ضد الكوجيتو الديكارتي، وجب علينا حسب ريكور" أن نعود إلى بعض كتاباته المعاصرة لمصنّفه ولادة التراجيديا" (بول ريكور، 2005، صفحة 84) والذي يحاول فيه ترميم المعنى؛ لأن: " فلسفة الذات قد تجاهلت تماما الحديث عن الوسيط اللغوي الذي يحمل حججها حول أنا موجود أنا أفكر" (بول ريكور، 2005، صفحة 85)، كما يعني أيضا أن " الإدعاءات التأسيسية للفلسفة، تستند لدى نتشه إلى محاكمة اللغة التي تقال بها، وهي جهة من التناول لم تعرها فلسفات الذات اهتماما حقيقيا، وما يكشف عنه هو الإستراتيجيات البلاغية المنسية المختبئة في اللغة إن لم نقل المكبوتة فيها بفعل ادعاء مباشرية التأمل " (حسن بن حسن، 1992، صفحة 39).

إن نتشه يحاول من خلال منهجه إعادة ترميم الذات وتخليصها من الوعي الزائف، باحثا عن المعاني؛ لأن في المعنى تسكن الحقيقة، وفي هذا المقام يقول نتشه : " حين نكتب لا نحرص فقط على أن لا نفهم، لكن أيضا على ألا نفهم لو أن شخصا كائنا من كان حكم على كتاب ما بأنه غير مفهوم فليس ذلك اعتراضا كافيا عليه إطلاقا" (فريدريك نتشه، 1993، صفحة 247)، وبذلك فان السؤال عن الذات بالمعنى الذي خمن فيه نتشه، يعدّ علامة فارقة في زعزعت الفكر السائد الذي اعتبر أنّ الحقيقة جوهرية ومتعالية، وبهذا مثلت المساءلة الارتيابية لقيمة المعرفة النقد الجذري للمعرفة برمتها، واقتضت منه مراجعة إرادة الحقيقة (La volonté de vérité) وقيمة المعرفة في جميع رهاناتها؛ لأن الإعتقاد بأن المعرفة مطلقة وثابتة، هو وهم وخطأ مرتبط بالحاجة الحيوية، أما الحقائق سواء كانت علمية أو فلسفية أو ميتافيزيقية، فهي في نظر نتشه ليست أكثر قيمة موضوعية إن لم تكن تتطابق مع الواقع؛ لأن البحث عن الحقيقة والصراع من أجلها، هو " مجرد ادعاء " (فريدريك نتشه، 2016، صفحة 88) سيجعل حقيقة الوجود وجوهره يتناقض مع العقل الذي يدعي معرفة كل شيء، وذلك لأن معطيات الحياة ليست على نمط موحد، مما يجعل العقول تختلف في تأويلاتها للحقيقة، ومن ثمة "... تصبح المعرفة الذاتية للذات بامتياز، فضمن المعرفة الذاتية للذات يتجمع كل علم وما هو قابل لأن يعرف من خلال هذا العلم، إنه تجميع للمعرفة مثلما أن الجبل تجميع للأعالي، ومن حيث هذا التجميع تكون ذاتية الذات بمثابة وعي لكن الوعي هو أصلا ذاته رغبة، وهكذا تظهر وفي تزامن مع ذاتية الذات تظهر الإرادة باعتبارها ماهية لهذه الذاتية " (مرتن هيدغر، 2015، صفحة 94).

وبذلك فان حقيقة الكائن حسب نتشه، تكون وتتكشف من خلال إرادة القوة التي تجعل الذات تتعرف على ماهيتها، وذلك بوضع القيم كشرط أساسي، وهذه القيم بما فيها الحقيقة كقيمة هي في الأصل عبارة عن تأويلات جاء بها الإنسان لكي يعرف حقائق الأشياء الموجودة في العالم؛ لأن " إرادة القوة مصدر التأويل والتقييم" (عادل مصطفى، 2007، صفحة 447)، ويعني هذا أن نتشه حسب ريكور" لقد عالج من جانبه القيم بوصفها تعبيرات للقوة ولضعف إرادة القوة التي يجب تأويلها، وإننا لنجد عنده ما هو أكثر من ذلك، فالحياة نفسها إنما هي تأويلات" (بول ريكور، 2005، صفحة 43)، وهذه التأويلات غير متناهية لا يحكمها نظام من العلاقات، ولا منطق؛ وهذا الاختلاف الذي جاء به نتشه، يختلف جذريا عن مناهج التأويل التقليدية خاصة في المجال الديني؛ لأن نتشه يربط بين الريبة والتأويل، وفي هذا الصدد يقول ريكور:" لقد كان نتشه أول من ربط بين الريبة والتأويل " (بول ريكور، 2005، صفحة 386)، وذلك من أجل البحث عن أصل الأشياء وقيمتها في الواقع بهدف توضيحها والكشف عنها وعن شروط وجودها، لكن هذا الكشف يكون بإتباع الطريقة الجينالوجية، والتي تعمل على البحث عن نشأة الظواهر الإنسانية من خلال تطورها ومعرفة أصلها.

2.2 سيغموند فرويد :

لقد حاول سيغموند فرويد من خلال التحليل النفسي قلب منظور فلسفة الوعي المنحدرة من فلسفة الكوجيتو الديكارتي، وأمام هذه المجاوزة للوعي يقول بول ريكور: " تمثل الواقعية الفرويدية هنا المرحلة الضرورية لاستنفاذ فشل الوعي " (بول ريكور، 2005، صفحة 141)، وبهذه الصورة فإنّ فهم الواقع النفسي في فلسفة التحليل النفسي مرتبط ارتباطا وثيقا بالكشف عن الفعل اللاواعي؛ حيث ينطلق فرويد من أن كل ماهو واقعي ونفسي، موجود في أشكال مختلفة، ويمكن لما هو نفسي وغير واعي، أن يظهر في شكل تعابير وصور متنوعة مثل الخيال، والأحلام والأوهام، ويمكن فهمها من خلال تأويلها؛ لأن الأفعال والتعابير في التحليل النفسي حسب فرويد " تتسم بشيء من الازدواجية التي لا تبرز في أثناء الوصف الفينومينولوجي للعمليات اللاواعية كما هي بقدر ما تبرز عند الكشف عن ديناميكية فعلها في النفسية البشرية، فمن جهة في أثناء وصف العمليات النفسية التي لا تعتبر واعية يكتشف ما يسمى باللاوعي الخفي الكامن، ومن علاماته المميزة هو أن التصور الذي كان واعيا في فترة ما يتوقف عن أن يكون كذلك، في لحظة أخرى، إلا أنه يمكنه أن يصبح واعيا عند وجود ظروف معينة تساعد على الانتقال اللاوعي إلى الوعي " (فاليري ليبن، 1997، صفحة 82)، وهذا الانتقال يكون من خلال النفاذ في أعماق الحالة النفسية وفك رموز لغة اللاوعي بفعل العملية التأويلية؛ لأن مهمة التحليل النفسي هو تفسير وتأويل كل ما تحمله النفس البشرية في داخلها؛ إذ المعنى الظاهر والباطن يمثلان قطبين لمعنى واحد .

فالمعنى الحقيقي للسلوكيات سواء كانت شعورية أو لا شعورية، تؤدي بنا إلى البحث عن آليات من أجل الكشف عن الوقائع النفسية، والسوية، والمرضية قصد فهم المكبوتات، وذلك من خلال فهم وتأويل سلوكيات الذات التي تحمل في طياتها انعكاسات ومسارات نفسية تؤدي إلى ردود قد تنفلت من قبضة الذات التي أصبحت تعيش أزمة معنى انطلاقا من الكوجيتو الديكارتي الذي كان يعتبر أن مصدر الحقيقة هو الوعي، ونسي اللاوعي؛ لأنّ الحياة النفسية عند فرويد، هي عملة ذات وجهين؛ أي الوعي واللاوعي. وفي هذا الصدد يقول فرويد : " إن التحليل النفسي لا يمكنه أن يقبل الرأي الذي يذهب إلى أن الشعور هو أساس الحياة النفسية، وإنما هو مضطر إلى اعتبار الشعور كخاصية واحدة للحياة النفسية " (سيغموند فرويد، 1982، صفحة 25) .

وبذلك يكون المقصد الأساسي الذي يسعى إليه فرويد، هو استكشاف النفس اللاشعورية، وتخليصها من الأوهام؛ حيث أنّ هذا الاستكشاف يتضمن في تزييف الشعور الإنساني، وذلك عن طريق مسألة الشك لأنّ الوقائع النفسية سواء كانت شعورية أم مرضية، تحمل فجوات يجب تأويلها؛ ويعني هذا " أنّ العالم النفسي ملئ بالسّراب والأوهام، فالتحليل النفسي يخضع الذات لتأويل تاريخي بإدراجها في مشروع أركولوجي ينشد تفسير الحاضر بالرجوع إلى المصدر " (نبيهة قارة، 1998، صفحة 31) .

3.علاقة الذات بالآخر عند بول ريكور

1.3 بول ريكور وإعادة تأسيس الذات الفاعلة:

إنّ فلسفة الذات التي أصبحت تشكل محورا أساسيا في الفلسفة التأملية، دفعت ريكور إلى إعادة تأسيس فهمنا للذات، باعتبار أن الذات أصبحت في أزمة (crise)، وفي هذا الصدد يقول ريكور: " ليس للكوجيتو من مدلول فلسفي قوي لو لم يكن قد سكنه طموح التأسيس الأخير والنهائي، والحال أن مثل هذا الطموح مسؤول عن هذا التأرجح الضخم الذي يسببه، حيث تبدو " أنا أفكر" معظمة ومفخخة إلى أقصى الحدود... " (بول ريكور، 2005، صفحة 74)، فمن خلال هذا القول ينتقد ريكور الأساس الحدسي الذي أصبح متجذر في الفلسفة التأملية عامة، والكوجيتو الديكارتي خاصة؛ لأنّ الذات بالمفهوم الديكارتي، لها القدرة على التفكير إلا ضمن الفكر وداخل الذات نفسها، ومن ثمة تكون المعرفة غاية في ذاتها دون تطعيم بالآخر، وهذا هو السبب الذي دفع ريكور أن يخرج عن صمته ويقول: أنّ الذات أصبحت أسيرة، وحطمت نقطة انطلاقها، ولا مكان لها من خلال الشك وإهمال الغير الذي يعدّ مقوما من مقومات الذات؛ لأنّ الذات التي لا تعي نفسها أولا وكأنها تسير إلى المجهول، وبهذه الأسباب ينعت ريكور الكوجيتو الديكارتي بالكوجيتو المجروح(le cogito blessé)، ويجب عليه تضميد جروحه من خلال عالم أخر هو عالم الرموز .

وبهذا المفهوم، فالكوجيتو (cogito) حسب ريكور، أصبح يواجه أزمة معنى، وعاجزا عن التوصل إلى فهم ما ينتجه؛ لذا يجب عليه أن يعود إلى خطاب آخر من أجل الكشف عن خفايا الوعي، ألا وهو التأويل، وهذا الأخير " يفترض أن الكوجيتو التأملي (الوعي المباشر) مضطر لأن ينزاح من مركزه، وينخلع عن عرشه؛ لأنّ الوعي المباشر عاجز عن التوصل انطلاقا من ذاته إلى فهم ما ينتجه، ولذلك ينبغي عليه أن يلجأ إلى خطاب آخر لتوضيح إنتجاته، وهي إنتاجات ترتدي معنى كامنا غير مباشر ينبغي استحضاره ورفعه من مستوى الباطن إلى مستوى الظاهر " (نبيهة قارة، 1998، صفحة 13).

ويعني ذلك أنّ الذات المتعالية التي قام ديكارت Descartes (1596–1650) بتأسيسها، هي ذات بلا معنى، وهي فارغة؛ لأنها عاجزة عن فهم الوجود الإنساني في مختلف أشكاله، ومن أجل ذلك، أصبح من الضروري إتباع الطريق الطويل عن طريق فهم وتأويل العالم الرمزي الذي يعتبر أساس العملية التأويلية في فهم الذات التي تعيش أزمة في حد ذاتها من خلال الغموض الذي غير مسارها في فهم الذات لذاتها، وفي هذا الصدد يقول بول ريكور في كتابه من النص إلى الفعل: " فهم الذات يكون أمام النص" (بول ريكور، 2001، صفحة 90) .

ووفقا لذلك، فان ديكارت حسب ريكور وقع في مفارقة عندما ميز بين الأنا والآخر، وأراد الاستغناء عن الآخر أثناء عملية الشك وتركيزه على الذات من أجل الوصول إلى اكتشاف الحقيقة عن طريقة الشك فقط وليس عن طريق الاعتراف بالآخر، ومن جهة أخرى، فإن ديكارت دمر نقطة بدايته عندما اعتبر أن الوعي يستطيع التفكير في العالم الخارجي والتفكير داخل الذات نفسها، لكن ريكور يرى " أن الوعي هو الحركة التي تدمر من غير توقف نقطة انطلاقها " (بول ريكور، 2005، صفحة 152)؛ إذ أن فهم الذات لذاتها ومسح العتمة التي يعاني منها الكوجيتو الديكارتي، تستدعي حسب ريكور منهجية تأويلية من أجل إيضاح هذه الذات لأنني " لا أستطيع الإمساك بذاتي في مباشريه شفافة، وبما أن التأمل ليس حدسا باطنيا للذات ، فإنه يتعين علي باستمرار فك رموز مختلف تعبيرات جهدي من أجل الوجود لمعرفة من أنا " (حسن بن حسن، 1992، صفحة 13).

ولقد تأثر ادموند هوسرل Edmend Husserl (1859–1938) بديكارت من خلال الإصلاح الجذري الذي قام به للفلسفة بغية جعلها علما، وهذا الإصلاح في نظر هوسرل يقتصر على كافة العلوم، ومن خلال هذه النقطة التي تعد أحد ركائز الفلسفة الديكارتية سار هوسرل على نفس الخطوات، إلا أنه حاول القضاء على ثنائية الذات والموضوع التي ساهمت في تشتيت الفكر الغربي؛ حيث يرى هوسرل أنّ لا ذات بلا موضوع، ولا موضوع بلا ذات، ومن هنا حول هوسرل مقوله ديكارت " أنا أفكر أنا موجود " إلى " أنا أفكر أنا المفكر فيه " ومن ثمة بنى عليها فلسفته الفينومينولوجية التي ترد الاعتبار للذات من خلال إدخالها في علاقة مباشرة مع الأشياء أو الموضوع.

ونشير هنا إلى أن عودة هوسرل إلى الكوجيتو الديكارتي، لم تكن في إزالة الثنائية السائدة منذ ديكارت والتي تتمثل في علاقة الذات بالموضوع؛ لأنّ هوسرل من خلال قراءته لديكارت، تبين له أنه لا وجود لذات بلا موضوع ولا موضوع بلا ذات، وفي هذا الصدد يقول هوسرل: " إن الوعي أو المعيش إنما يتعلّق بموضوعه بتوسُّط الظهور الذي هو محلُّ وجود الموضوع متحققا على نحو من أنحاء التحقق " (ادموند هوسرل، 2009، صفحة 35)، فهذا الارتباط الذي بين هوسرل وديكارت دفع بول ريكور إلى التعرف على كتاب هوسرل " الأفكار " والذي توصل من خلاله إلى أن الذات المتعالية قد أوقعت هوسرل في متاهة؛ لأنّ فهم الذات لا يمكن فهمها إلا من خلال رموز وعلامات تستدعي بالضرورة عملية التأويل، ومن ثمة تفهم الذات ذاتها من خلال توسط الرموز.

وإذا عدنا إلى مفهوم الفينومينولوجيا عند هوسرل، هو عبارة عن منهج يدرس الظواهر كما هي موجودة في العالم؛ حيث لا يستطيع الوعي الكشف عن حقيقتها، بل يتصورها ثم يتأولها، ويعني ذلك أن هوسرل " فلسفته تقوم على عملية رد العالم الخارجي في صورته العادية إلى الذات وعملية رد العالم هذه تشتمل على نوعين: الأول هو الرد التصوري الذي يجعل الفيلسوف يتعلق بالماهيات والتصورات ويسقط من حسابه الوقائع الجزئية والثاني هو الرد الشرطي الذي يتميز بوضع جميع الأشياء المادية موضع المساءلة وبتعليق الحكم عليها أو بالأحرى على وجودها الواقعي، وهذا هو المنهج الذي يأخذ به هوسرل ليجعل العالم مجرد ظاهرة " (العبيدي حسن مجيد، 2008، صفحة 29)، ثم نقوم بوصفها ونتأولها، وفي هذا الصدد يقول جان غرندان Jean Grondin (1955-) في كتابه المنعرج الهيرمينوطقي: " إذا كان هوسرل قد أسهم في مبحث الهيرمينوطيقا، فقد فعل ذلك دون رضا منه، فقد كانت له حساسية مضاعفة تجاه أي فكر يمكن وصفه بأنه هيرمينوطقي؛ إذ يعتقد أنه أي الفكر الهيرمينوطقي فكر تاريخي " (جان غرندان، 2007، صفحة 43).

2.3 علاقة الذات بالآخر عند بول ريكور :

إن الذات حسب المفهوم الريكوري يجب عليها أن تتعرف على ذاتها من خلال العالم الذي تمثله المسرودات والرموز؛ حيث ينتج عنها علاقات تربط الإنسان والعالم، والإنسان وذاته، والإنسان والإنسان، ومن هنا فإن الذات قبل أن تفهم الآخر يجب عليها أن تفهم نفسها، وهو ما يطلق عليه التوسط التفكيري (médiation réflexion)؛ حيث يعني مفهوم التفكيري المجهود المستمر الذي تقوم به الذات من أجل اكتشاف تجربتها من خلال النص، وفي هذا الصدد يقول ريكور: " فإن للنص معنى مختلفا تماما عن المعنى الذي يعرفه التحليل البنيوي فيما يستعيره من اللسانيات فهو وساطة بين الإنسان والعالم، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان ونفسه، والوساطة بين الإنسان والعالم هو ما ندعوه المرجعية، والوساطة بين الناس هو ما ندعوه الاتصالية، والوساطة بين الإنسان ونفسه هو ما

ندعوه بالفهم الذاتي " (بول ريكور، 1999، الصفحات 47–48)، وبهذا التحديد فالنص هو بمثابة الوسيط الذي يفتح الذات على مختلف صراع التأويلات، ويسهل عليها معرفة ذاتها، وذلك من خلال تعدد القراءات التي يكتشفها الآخر من جميع جوانب الحياة التي تعيشها الذات.

ويعني هذا أن المبدأ الأساسي للذات، يجب عليها أن تتعلق بالآخر، وأن تتخلى عن مركزيتها التي تؤمن بإقصاء الآخر، كما يجب عليها استحضار الآخر والإنصات إليه لأنّ " أنا أفكر " حسب ريكور أصبحت تمثل ذات منغلقة على ذاتها، ومن ثمة أصبح الأمر ضروري من أجل ربط الذات بالآخر، لأن الآخر هو الذي سيقدم العون والمساعدة للذات لكي تنفتح على الوجود بأكمله، ويتقرر حسب ريكور أن الذات هي في ضيافة الآخر الذي يتعايش معها، ومن ثمة تصبح الذات والآخر في جدلية؛ حيث سيعمل الفعل على ربط جسر بينهما من أجل أن تتضح صورة الذات وتفهم ذاتها، وهذا على ضوء الغير (Altérité) الذي يمثل وجود كينونة الإنسان وهذه الكينونة مرتبطة ارتباطا وثوقيا بوجود الذات والآخر؛ حيث يمثل هذا التعاقب محورا أساسيا في بروز التعايش بين الآخر والذات، ومن ثمة يصل ريكور إلى نتيجة مفادها لا ذات بلا آخر، ولا آخر بلا ذات، وهذا الآخر(L'autre) حسب ريكور متعدد حيث يقول: " هناك الآخر من حيث هو جسد ولكن هناك أيضا الآخر من حيث هو غير هذا الغير المتجلي بوصفه محاورا على صعيد الخطاب، وبوصفه بطل الرواية أو الخصم على صعيد التفاعل أو التشابك، وأخيرا هناك الآخر بوصفه حاملا لتاريخ آخر غير الذي هو لي في تواشج روايات الحياة " (بول ريكور، 2006، صفحة 106).

إذن الذات حسب ريكور، ليست في مواجهة نفسها أو ذاتها فقط؛ بل هي أيضا في مواجهة الآخر، حيث لا تكتمل صورتها إلا من خلال الآخر، والذي يمثل واجهة الذات في فهمنا للوجود، وفي هذا الصدد يقول ريكور: " هناك طرق متعددة يؤثر فيها الآخر غير الذات في فهم الذات لذاتها " (بول ريكور، 2005، صفحة 607)، ويقول أيضا: " الذات عينها كآخر توحي منذ البداية بأن ذاتية الذات عينها تحتوي ضمنا الغيرية إلى درجة حميمة، حيث أنه لم يعد من الممكن التفكير في الواحد دون الأخرى أو لنقل في لغة هيجل Hegel (1770–1831) أن الواحد تدخل في الأخرى، ولقد أردنا حين استعملنا الكاف كآخر التأكيد على الدلالة الأقوى، إذ لم نشأ أن نقيم مقارنة – الذات عينها شبيهة بآخر – بل أردنا التضمين : الذات عينها بما هي آخر " (بول ريكور، 2005، صفحة 72).

إن الذات في علاقتها مع الآخر حسب بول ريكور، تتلخص في علاقة قوية، وهي (الذات عينها كآخر) (Le soi même comme un autre)؛ حيث هنا يكون موضوع الذات هو الآخر، ومن ثمة يكون تداخل وتقاطع بينهما مما يجعل الذات تنفتح على كل الأفاق، ومن جهة أخرى، فالآخر هو أيضا مفهوم متعدد المعاني قد

يأخذ صورة الوجود– الفعل وصورة الوجود الأصيل، ومن هذا الإتحاد والتداخل يشكل صورة متعددة، وبهذا فالآخر " يشكل جزءا من وعي لذاتي، بل ليس من ذات من دونه " (بول ريكور، 2005، صفحة 658).

من خلال هذه العلاقة المتبادلة بين الذات والآخر، يظهر جليا أن اكتشاف الذات لمعطيات الوجود من أجل استعابه، يكون إلا من خلال الغير أو الآخر باعتبار أن مفهوم الغيرية تمثل استراتيجيه تعمل على تتبع حركية الذات والآخر" إن هذا التبادل عينه بين ذات الذات المتأثرة والآخر المؤثر هو الذي يحكم على الصعيد السردي تماهي قارئ القصة بالأدوار التي تقوم بها شخصيات مكتوبة في غالب الأحيان بصيغة الغائب " (بول ريكور، 2005، صفحة 607)، ونشير هنا إلى أن الآخر الذي نقصده في علاقته مع الذات، هو الجسد، لكن هناك الآخر باعتباره غير؛ حيث يمثل المتخفي وراء الخطاب .

ومن أجل فهم الآخر، استعمل بول ريكور الترجمة، والتي تعمل على " تقريب المؤلف من القارئ وتقريب القارئ من المؤلف (بول ريكور، 2008، صفحة 21)، وذلك بهدف ترجمة نصوص الآخر وفهمه؛ لأنّ مهمة المترجم حسب ريكور" أن يلعب دور الوسيط بين الكاتب والقارئ" (راشدي حسان، 2012، صفحة 39)، وبهذا فالذات من خلال انهمامها في صميم ذاتها المتماهية، تبحث في الوقت ذاته في هذه الذات عما يكملها وهو الآخر فلا وجود للذات خارج الآخر، وليس الآخر المقابل العيني الذي يظهر أمام الذات، بل هو فعل قصدي تقوم به الذات وهي تصارع في انغلاقها؛ لأنّ الصراع الذي يكون بين الوعي واللاوعي، يكون حتما داخل الذات مما يجعل هذه الذات الواعية، تنفتح على الآخر، وترفض كل ذات أصابها الغرور والتعالي.

يتضح من هذا الطرح، أن ريكور يعمل على وضع مكانة أساسية لمفهوم الآخر، ويتحدد ذلك في قوله : " إن وجودي الذي يعد لأجلي، إنما هو تابع لهذا التأسيس للذات في رأي الآخر. فذاتي إذا تجرأت على قول هذا يتلقاها رأي الآخر الذي يكرسها " (بول ريكور، 2005، صفحة 151)، ومن هنا وحسب هذا التأسيس لمفهوم الآخر، يعمل ريكور على تغيير الطريق الذي اتبعه مارتن هيدغر Martin Heidegger (1889–1976) عندما حاول تأسيس انطولوجيا مباشرة للدزاين- Dazein – والتي جعلته يمر عبر الطريق الطويل من أجل الكشف عن الآخر عندما قال: " أن أفهم ذاتي هو أن أقوم بالدورة الأكبر وهي الدورة الخاصة بالذاكرة الكبرى التي تتحفظ بكل ما أصبح ذا دلالة بالنسبة إلى مجموع البشر" (بول ريكور، 2005، صفحة 41)، ولكن ريكور يتبع الطريق المخالف من أجل البحث عن الصورة الحقيقة للوجود؛ لأن الذات حسبه لا يمكن أن تفهم ذاتها إلا من خلال الانفتاح على الآخر حيث سيمثل هذا الآخر وسائط – إرادة القوة – اللاوعي – الاقتصادي، وبذلك فانّ مفهوم الذات والآخر حسب ريكور يتأسس على علاقة دمج الوعي باللاوعي من أجل إظهار حقيقة الوجود الذي تعمل

الذات على فهمه، ولهذا عمد ريكور على توسيع دائرة الوعي من أجل توسيع دائرة التفكير؛ لأنّ الذات حسب ريكور منذ فلاسفة الحداثة قد كانت منغلقة على نفسها أو أنها كانت سجينة نفسها، وبفعل التحرر الذي شهدته من خلال انفتاحها على الآخر أصبحت من الآن وصاعدا تكتشف ذاتها أولا ثم الآخر، وفي هذا الصدد يقول ريكور في كتابه الذات عينها كآخر " كل فهم للذات يمر عبر توسّط الآخرين " (بول ريكور، 2005، صفحة 41) فهذا القول يبين أن الإقرار بوجود الذات، مرهون بوجود العالم الذي تعيه الذات .

وبهذا فإن ثقافة الآخر التي يدعو ريكور إليها، سوف تعطي للذات انفتاحا، وفهما، وتواصلا، وفاعلية، لأن تواصل الإنسان مع أشياء العالم ومع الآخر، سيجعل حتما الذات بعيدة عن الإقصاء والانغلاق، وذلك لأن الوفاء للذات حسب ريكور، يجعل الهوية في انخراط مع الآخر الذي يعد المنبع الأساسي للفهم، كما أن هذه الهوية ليست انطواء وانغلاق الذات، وإنما هي في انفتاح وتواصل مع غير الآخر الذي يكملها، وفي هذا الصدد يقول بول ريكور : " إن الذات وهي تبحث في صميم ذاتها المتماهية، تبحث في الوقت ذاته في هذه الذات عما يكملها " (بول ريكور، 2006، صفحة 11).

فهذه العلاقة التي تنشأ بين الذات والآخر حسب المفهوم الريكوري، تساعد على البقاء في الوجود؛ حيث تصبح الذات في استمرارية؛ ويعني " أننا نظل، مع تيمة بقاء الآخر وفيه، ضمن أفق الحياة، ماذا عساي أصنع بأمواتي الذين يستوطنون ذاكراتي ؟ إنه مشكل أحياء ينطرح إزاء أولئك الذين فارقوا الحياة . ولا يخفى، بعد الذي ذكرته عن موت ابني – أوليفي – أنه يمسني بطريقة مباشرة جدا . لكني لا أملك الحق في استبطان هذا الاستباق في أن يكون لي باقون أحوله إلى تمثيل لبقائي الخاص، باستمرار مع حياتي الفعلية فعبر انقذافي في الآخر الذي يبقى بعد رحيلي ذريتي وأصدقائي، أشارك مسبقا في واجب ذاكراتي كما لو كنت أنتمي إلى مستقبل سابق، باق حتى بعد موتي بيد أن هذا لا ينبغي أن يعود بنا إلى البقاء الخاص فيما وراء الحياة " (بول ريكور، 2011، صفحة 80).

ونتيجة هذه العلاقة التي بين الذات والآخر، يرفض بول ريكور انغلاق الذات على نفسها؛ فالذات عنده تتعايش مع الآخر، وتصبح لها القدرة على إدراك وفهم الآخر، ولهذا يقول ريكور: " بوسعي أن أذهب بعيدا، من ناحية فلسفية، في الفكرة التي تقضي بأولوية الآخر، وقد أكدت غير ما مرة أن الأخلاق تتعدد بالنسبة لي عبر التوق إلى حياة طيبة، مع الآخر ولأجله، ومن خلال التطلع إلى مؤسسات عادلة " (بول ريكور، 2011، صفحة 81). فمن خلال هذا القول يتبين أن الذات حسب ريكور لا تكون حبيسة نفسها، بل تسعى دوما إلى البحث عن البنية الثنائية الحوارية للعيش المشترك، فإما تكتشف الآخر وتكون بينهما علاقة مباشرة تحكمها الصداقة والحب

والرعاية، وقد تكتشف الذات الآخر في صورة غير مباشرة فتحكمها فكرة العدالة، وهذا ما يعني أن العيش المشترك قد لا يكون وفق العلاقات البينشخصية بل يمكن أن يأخذ صورته في المؤسسات التي توفر الرغبة في العيش الجيد مع الآخر عن طريق الصداقة.

ومن أجل فهم هذه العلاقة التي بين الذات والآخر فإنّ ريكور يشرحها في كتابه " الذات عينها كآخر؛ حيث يقول: " حين اخترت عنوان الذات عينها كآخر أردت أن أدل على نقطة تلاقي المقاصد الفلسفية الرئيسية الثلاث " (بول ريكور، 2005، صفحة 67)، وهذه المقاصد هي بالترتيب المقصد الأول : و يقيم ريكور التعارض الذي بين الذات والأنا حيث يرى أن الذات منذ أن أقامت نفسها على مفهوم الأنا " أنا أفكر" وتخلت عن العلوم الحديثة أصبحت جريحة وتخلت عن حقيقتها، ومن أجل إرجاع لها فعاليتها وتضميد جراحها، يجب عليها أن تعمل دورة أي التوسط، والمقصود بالتوسط هو توسط الآخر، ثم المقصد الثاني: فهو التعبير " عينها "؛ حيث لا يفرق ريكور بين الذات وعينها باعتبار أن مفهوم عينها هو بمثابة صورة الذات، ثم المقصد الثالث: فهو الآخر الذي يوحي أن الذات عينها تحتوي ضمنيا على مفهوم الآخر أو ما يسمى بالغيرية؛ لأنّ التفكير في الواحد يدعونا بالضرورة إلى التفكير في الآخر " (بول ريكور، 2005، الصفحات 70-71) .

وبهذا المعنى فإن الذات عند ريكور، لا تتأسس على البداهة والوضوح، كما أنها ليست جوهرا، بل هي ذات فاعلة تتأسس على مجموعة من العلاقات المتشابكة التي تضمن لها البقاء والاستمرارية، ومن بين هذه العلاقات علاقتها بالآخر الذي تكون معه في حوار مما يجعلها تتعايش معه، كما أن الذات عند ريكور هي ذات متكلمة تنتج خطابات، وتتمظهر من خلال الأفعال والأقوال التي تنتجها وتجعلها منفتحة على تعدد المجالات الأخلاقية والتاريخية والسياسية .

وفي هذا الصدد، فالذات عند ريكور تنفتح على عالم الرموز الذي يساعدها على فهم ذاتها أولا ثم الوجود ثانيا، ومن هنا يتخلى ريكور عن هوسرل الذي يعمل على رد الذات إلى الماهية، وجعل الموضوع لا معنى له إلا إذا كان في الذات؛ لأنّ موضوع الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، هو الذات التي تكون بداخلنا، ووفقا لذلك، فالذات تتحقق من خلال " هذه الأنا المتماهية الباحثة عن الانفتاح والتجلي عبر تلوينات معرفية عديدة، وهي ذات فاعلة مكافحة ترفض كل أنواع القولبة والانغلاق" (بول ريكور، 2006، صفحة 13)، ويعني أن موضوع الذات هو الآخر الذي بفعله تتحرر الذات من سلطتها وتنفتح على كل العوالم من أجل الفهم الصحيح، وفي هذا الصدد يقول ريكور: " إن وعينا لذاتنا ليس إذا ببديهية فلسفية تتبدى لنا بكل يقينيتها، وكذلك ليس بحدس مباشر على ما قاله هوسرل في منهجيته التي تجعل من الحقيقة الأخيرة أمرا شفافا أستطيع أن ألتقطه بحدسي العقلاني ....وكذلك فإن

وعينا لذاتنا ليس وعيا مباشرا، ولكنه مهمة طويلة وشاقة تتطلب انفتاحا، عن طريق التفكر على كل الإشارات التي تأتينا من محيطنا الخارجي وعالمنا الداخلي " (بول ريكور، 2005، الصفحات 657-658) .

4.خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول: أن بول ريكور طرح إشكالية في الصميم، وهي علاقة الذات بالآخر، باعتبار أن الآخر هو الطرف الذي يساعد الذات على وعي نفسها، ومن ثمة تكون صداقة بين هذه الذات التي كانت جريحة منذ أن كانت منغلقة على نفسها و تدعي امتلاك الحقيقة عن طريق الشك في الأشياء المحيطة بها، وتجاهلت بذلك الآخر المحيط بها، والذي يعتبر ضروريا في جعل الذات تقوم بتضميد جراحها، والاعتراف به، ومن هنا يبني ريكور فلسفة جديدة تقوم على اعتبار الذات عينها كآخر كبديل لها؛ حيث يحاول في هذه الفلسفة زحزحت الذات من خلال ربطها بالآخر الذي يمثل صورتها في فهمها لذاتها، وهذا ما نجده في كتابه " الذات عينها كآخر "، ومن هنا نخلص إلى عدة نتائج التي نوجزها كالآتي:

– أن الذات لا يتحقق وجودها كذات فاعله إلا بوجد فاعل يمثله ومن ثمة تأسست إشكالية الذات والآخر كبديل لفلسفة الذات لأن هذه الأخيرة حسب ريكور قد كانت تعيش انغلاق.

– أن بول ريكور حاول من خلال مشروعه التأويلي إعادة ترميم الذات التي أصيبت بتمزق والتي كانت تعاني تصدعات، وفي الوقت نفسه أراد أن يعيد الانسجام بينها وبين الآخر، وذلك بإعتبار أن الذات متعلقة بالآخر ولا تنفصل عنه وهذا ما جاء به في أحد مؤلفاته " الذات عينها كآخر "؛ حيث قال فيه: إنّ الذات تتعرف على نفسها من خلال الانفتاح على الآخر .

– أن فلسفة الذات حسب ريكور لم تتوقف عند ديكارت فحسب؛ بل امتدت جذورها إلى هوسرل الذي بدوره حاول تأسيس فينومينولوجيا ذاتية أدت إلى مثالية تامة؛ حيث جعلت من الأنا موضوع المعرفة الوحيد، فأصبحت بذلك نوعا من الأنا المتعالي التي تجعل من المعرفة الأنا شرط وجود كل معرفة.

– أن ثقافة الآخر التي يدعو ريكور إليها، سوف تعطي للذات انفتاحا، وفهما، وتواصلا، وفاعلية، لأن تواصل الإنسان مع أشياء العالم ومع الآخر، سيجعل حتما الذات بعيدة عن الإقصاء والانغلاق، لأن الوفاء للذات حسب ريكور، يجعل الهوية في انخراط مع الآخر الذي يعد المنبع الأساسي للفهم، كما أنّ هذه الهوية ليست انطواء وانغلاقا، وإنما هي انفتاح وتواصل مع غير الآخر الذي يكملها .

5. قائمة المراجع:

1. ادموند هوسرل . (2009). دروس في فينومينولوجيا الوعي الباطني بالزمن . منشورات الجمل: بيروت.
2. حسن بن حسن . (1992). النظرية التأويلية عند ريكور . دار الطباعة والنشر : مراكش .
3. راشدي حسان . (2012). بول ريكور والترجمة : الترجمة وظيفة إنسانية. مجلة التواصل في اللغة العربية والثقافة والأدب ، المجلد 18(العدد 3)، الصفحة 39.
4. بول ريكور. (2011). الإنتقاد والإعتقاد. دار توبقال : المغرب.
5. بول ريكور. (1999). الوجود والزمان والسرد. المركز الثقافي العربي : بيروت.
6. بول ريكور. (2005). الذات عينها كآخر. مركز دراسات الوحدة العربية : بيروت .
7. بول ريكور. (2006). بعد طول تأمل. دار العربية للعلوم : بيروت .
8. بول ريكور. (2005). صراع التأويلات. دار الكتاب الجديدة المتحدة: بيروت.
9. بول ريكور. (2008). عن الترجمة. منشورات الإختلاف : الجزائر .
10. بول ريكور. (2001). من النص إلى الفعل. عين الدراسات والبحوث الإجتماعية والإنسانية : القاهرة .
11. جان غرندان . (2007). المنعرج الهيرمينوطقي للفينومينولوجيا. دار العربية للعلوم: بيروت .
12. فاليري ليبن. (1997). فرويد – التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة.دار الطليعة: سوريا .
13. سيغموند فرويد . (1982). الأنا والهو . دار الشروق : بيروت .
14. العبيدي حسن مجيد. (2008). من الآخر إلى الذات. دار الطليعة : بيروت .
15. عادل مصطفى . (2007). فهم الفهم : مدخل إلى الهيرمينوطيقا – نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر . دار النشر والتوزيع : القاهرة .
16. قارة نبيهة. (1998). فلسفة التأويل. دار الطليعة للطباعة والنشر: الجزائر .
17. فريدريك نتشه. (1993). العلم المرح. افريقيا الشرق : الدار البيضاء .
18. فريدريك نتشه. (2016). شوبنهاور مربيا. منشورات الإختلاف: الجزائر .
19. فريدريك نتشه. (2003). ماوراء الخير والشر : تباشير فلسفة المستقبل. دار الفارابي: بيروت .
20. مرتن هيدغر. (2015). الفلسفة – الهوية والذات. منشورات الإختلاف : الجزائر .